عالمية القرآن الكريم

obeikandl.com

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين الذي أرسله ربه هادياً للناس جميعاً ، ومبشراً ونذيراً ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

هذا بحث عن « عالمية القرآن الكريم » أحد مقومات كتاب الله وخصائص الإسلام ، ومفاهيمه الجوهرية ، ومن بدهيات الدين الخالد ، التي لا تحتاج إلى تعمق في الفهم أو تحليل وبحث ، ويدركها كل من تصفح آي القرآن المجيد ، في صراحة ووضوح .

فتكون مهمة كل مسلم ، ولاسيما العالم أن يتفاعل مع هذا المفهوم ، ويعمل مجاهداً مخلصاً في تحقيقه ، مضحياً بكل إمكاناته وطاقاته ، من أجل إرساء معنى العالمية القرآنية على الصعيد الواقعي ، والمبادرة لتبليغ دعوة الله تعالىٰ لجميع البشر ، إما بالترجمة ، أو بالمناقشة ، أو بإحسان العرض وإفاضة البيان ، ونقل تعاليم القرآن ، ونشر العقيدة الإسلامية الصافية القائمة على توحيد الله ، وتحقيق العبودية لله ، والاستقامة على أمر الله وطاعته ، بقدر الطاقة ، وببذل أقصى المجهود الفردي أو الجماعي المتيسر في كل عصر وأوان ، ومقارنة عالمية الإسلام مع المفاهيم الأخرى ، لتظهر الفضيلة ، وتتبين المزايا ، ومن أخصها الخلود

والبقاء ، بسبب ملازمة الحق والعدل ، ومواكبة الفطرة الإنسانية النقية ، ومواجهة كل ألوان التحديات المغايرة ، الفكرية أو السلطوية .

والعالم الرباني المتمكن ، والغيور المخلص بديع الزمان النورسي أحد أعلام الصفوة المتميزة ، والصحوة الواعية الذين أدركوا ضرورة العمل على تحقيق آفاق عالمية القرآن .

ولقد اخترت بحث هذا الموضوع ، على الرغم من وضوحه ومعرفته لكل إنسان ، لأنني لم أجد أحداً أشار إليه أو عني به في التأريخ لحياة النورسي وتحليل أفكاره ، إلا نادراً أو عرضاً من خلال ما اطلعت عليه ، لتركيز الباحثين حول حياة النورسي رحمه الله على جهاده وكفاحه ، وبيان صلابة عقيدته ، وحبه لعبادة ربه ، وحرصه على العيش في أفياء رضوان الله ، والغيرة على أمته ومجتمعه ، وإعزاز الدين واحترام مقدساته .

لقد عاش النورسي (١٢٩٣ـ١٣٧٩هـ / ١٨٧٦ـ١٩٦٠) في القرن الرابع عشر الهجري ـ القرن العشرين الميلادي ، في أسوأ ظروف التحديات للإسلام ودولته وكيانه ، وللفكر الإسلامي ومعطياته وممارساته ، حيث عاصر أحداث التآمر على الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد ومشكلات المسألة الشرقية[١] . ومحاولة تصفية وجود هذه الدولة التي وصفوها بالرجل المريض ، وعاصر مآسي الحربين العالميتين الأولى والثانية ، وشهد هزيمة الدولة العثمانية مع دول المحور بزعامة ألمانيا وحليفتها النمسا (دول الائتلاف) في الحرب العالمية

(١) تعبير عن العلاقات السياسية بين بعض الدول الأوربية وبين الإمبراطورية العثمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين .

الأولى ، وعاين ما تكبدته دولته من فقد ممتلكاتها في البلقان وغيرها من البلاد العربية ، وقتل مئات الألوف من زهرة شبابها ، وتقليص ظل عالميتها وسعتها وامتداد سلطانها في الشرق والغرب ، وعايش أحداث إلغاء الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ على يد مصطفى كمال أتاتورك ، وفرض السفور ، ومنع الأذان باللغة العربية ، وعلمانية الدولة .

ولكن النورسي رحمه الله ، لم يخضع لوطأة هذه الأحداث ، وإنما ترفع فوقها ، وأحسَّ بمرارة آلام الأمة الإسلامية ، فحاول إنقاذها من طريق دعوته لوحدة الأمة ، والعمل على تخليصها من قيود الزمان والمكان ، وإحياء مفاهيم عالمية القرآن والإسلام ، ومعالجة القضايا الساخنة بحكمة وشجاعة ، وبإيمان متين ، وجرأة منقطعة النظير ، سواء في مناقشة آراء جمعية الاتحاد والترقي ، والترويج للعلمانية ، أم في الرد على المستشرقين سدنة الاستعمار .

إن هذه الظروف الأليمة التي أحدثت جرحاً عميقاً في قلب النورسي دفعته إلى الكفاح الفكري ، وألهبت في نفسه الحنين إلى إحياء عزة الإسلام ودولته ، فوجد عزاءه في بعث روح الأخوة الإسلامية ، ونشر تعاليم الإسلام في داخل الدولة ومجتمعه ، وخارج نطاق الدولة ، انطلاقاً من نزعة الإسلام العالمية .

وطوال حياته ، لم يفقد الأمل أمام التحديات الداخلية ممثلة بأنصار أو دعاة العلمانية ، والخارجية الممثلة بتواطؤ الدول الأوربية والشرقية الروسية ، وتوقع أن المستقبل سيتمخض عن نصرة الإسلام ، وعودته قوياً ، وسليماً معافى إلى الحياة الإنسانية العالمية ، وتجديد حيوية العالم الإسلامي ، عن طريق إيمانه بعالمية القرآن المجيد ، ودعوته العامة لجميع شعوب الأرض للإيمان الحق والإسلام والاستقرار ، ومساندة

أهل الحق ، فإن المصائب والنكبات قد تدفع إلى تحقيق السعادة ، والإحساس بالمشكلة أول طريق لحلها .

وإذا كانت الهزيمة العسكرية والمادية قد لحقت بالدولة العثمانية ، فإن بديع الزمان النورسي أراد بدعوته إلى عالمية القرآن تحطيم الحرب النفسية التي حاول الإنجليز وحلفاؤهم إشاعتها في الأوساط الإسلامية الشعبية والعلمية ، وأنه لن تقوم للمسلمين بعدئذ قائمة .

ويرى النورسي عالم عصره ـ وإن كان في الظاهر لا يتدخل في السياسة بالتزام منهاج مرحلي تدرجي ـ أن الذي يستنهض الشرق ويقدمه ، إنما هو الدين والقلب ، وليس العقل والفلسفة ، لأن منهاج الدين خالد شامل للروح والمادة ، وطريق العقل والفلسفة مؤقت ومقصور على المادة فقط ، ولأن الأمة تحتاج إلى الدين أكثر من حاجتها إلى وسائل العيش ، لذا قاوم الأفكار الشيوعية ، وجاهد ضد الروس في القفقاس ، مع إخوانه وتلاميذه ، ولم ينس حاجة الأمة الروحية إلى دين يقوِّمها ، تحت كل الضغوط المدنية الحاضرة .

* * *

مفهوم العالمية ونطاقها ومقوماتها

العالمية : مأخوذة من كلمة العالم وموقعه في الكرة الأرضية شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، ويقصد بها في التعبير القرآني : كون دعوته الخالدة القائمة على مبدأ التوحيد الإلهي والاستقامة على منهاج الله تعالىٰ موجهة لجميع العالمين من الإنس والجن ، في شتى أصقاع الأرض ، وفي كل زمان ومكان ، إلى قيام الساعة ، أي : إن القرآن والإسلام ذو نزعة عالمية شاملة للمشارق والمغارب ، لإصلاح الحياة البشرية ، وتحقيق السعادة ، وعمران الكون ، بل وإصلاح عالم الجن الخفي ، الذي يلازم حياة البشر ، وقد يؤثِّر بتخيلاته وتشكلاته على الإنسان ، فيعكر صفوه ، أو يتعامل معه لإشاعة الشر والفساد ، والفتنة والضلال .

والسبب الواضح أن هدف القرآن إنقاذ البشر والجن من الظلمات إلى النور ، بدليل قول الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٥ـ١٦] .

فيكون نطاق العالمية : عموم أنحاء الأرض ، من غير تمييز بين عرب وغير عرب ، ولا بين قطر وقطر ، أو شعب دون شعب ، لأن الله تعالىٰ مُنزِلَ القرآن يبغي الخير لجميع عباده ، ويحب لهم الطاعة والصلاح والاستقامة ، لصالح أنفسهم ، لا لمنفعة تعود عليه .

ولا يلزم من هذا الطموح أو النزعة العالمية الشاملة تحقيق ذلك على

صعيد الواقع ، أو إجبار الناس على قبول الهداية ، أو الانصهار في دين واحد ، أو ملة واحدة ، فإن نظام التعدد العَقَدي أو التعددية المذهبية سُنّة الله ومشيئته ، كما قال الله سبحانه :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ (١) عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس : ٩٩ـ١٠٠] .

والإسلام أو القرآن يقر الواقع ولا يمنع من التعدد الأممي أو الاختلاف الملي أو التفاوت المذهبي ، لقوله تعالىٰ : ﴿ تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا (٢) بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ (٣) مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [النحل : ٩٢] . وهو دليل واقعي على أن الحرية هي أساس اختيار الدين ، سواء أكان المؤمنون بالدين الصحيح قلة أم كثرة ، والحساب في النهاية على الاختيار إلى الله تعالىٰ وحده .

والخلاصة : إن المقصود بعالمية الإسلام أو القرآن : قابليته للوفاء بحاجة الإنسان وصلاحيته لقيادة البشر ، من غير تمييز بسبب الجنس واللون والبيئة والزمن وغير ذلك من الفروق .

وأما مقومات عالمية القرآن : فتنحصر في أنه دعوة إلى الثوابت الكبرىٰ للحياة الإنسانية ، وهي أنه يدعو إلى كلمة التوحيد (توحيد الله تعالىٰ) والعبادة الخالصة لله ، وتحقيق عبودية المخلوق للخالق ، والاستقامة على منهج الحق ، فالإسلام دين الحق ، والعدل ، والحرية ،

---

(١) أي العذاب أو الخذلان .

(٢) أي مكراً وخديعة .

(٣) أي لأن تكون أمة أو جماعة هي أكثر وأوفر عدداً .

والشورىٰ ، والمساواة بين الناس ، وإقرار المعروف والأمر به ، ونبذ المنكر والرذيلة والنهي عنه ، والتزام مكارم الأخلاق دون تفريق أو تمييز بين الناس في المعاملة بسبب السلطة والرعوية ، والغنى والفقر ، والسيادة والتبعة ، والقوة والضعف ، والصداقة والعداوة ، والانتماء للإسلام أو غيره ، لأن طريق التقدم وبناء الحضارة : هو في القرآن أو الإسلام ، والوسيلة : هي العلم الدقيق المتقن ، وتحريك العقل وإعمال الفكر في مختلف أنحاء الكون .

سئل النورسي : ما المدنية التي في الشريعة؟[1] .

فقال : المدنية التي تأمرنا بها الشريعة وتتضمنها : هي التي ستكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة ، وتضع أسساً إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية .

إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة ، والحق من شأنه : العدالة والتوازن .

وهدفها (القريب) : الفضيلة بدلاً من المنفعة ، والفضيلة من شأنها : التجاذب .

وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية : الرابطة الدينية والوطنية والمهنية بدلاً من العنصرية . وهذه شأنها : الأخوة الخالصة ، والسلام والوئام ، والذود عن البلاد عند تجاوز الأجانب .

ودستورها في الحياة : التعاون بدل الصراع والجدال ، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد .

---

(١) سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة للأستاذ أورخان محمد علي ص٨٩ـ٩٠ .

وتضع الهدى بدل الهوى ، ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر ، وشأن الهدى : رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات ، فهي إذ تقمع الهوى ، وتحدّ من النزعات النفسانية تُطمئِنُ الروح وتشوِّقها إلى المعالي .

وهكذا يتبين أن العالمية سمة الإسلام ، سواء في وحدة الأمة الإسلامية أو وحدة العالم ، وهذه العالمية تقوم على أساس متين من الخير والمحبة والهداية والفضيلة ، وتعتمد على العلم ، والحرية وصون الكرامة الإنسانية ، والشورى والعدالة ، والتآلف والمساواة ، والسلم والأمان .

* * *

obeikandl.com

بديع الزمان النورسي وعالمية القرآن

المصلح العظيم بديع الزمان تعرَّض بسبب جهاده المشرف ، ودعوته إلى الله تعالىٰ ، لأحداث جسيمة ، من الأسر في روسيا لمدة سنتين وأربعة أشهر وأربعة أيام ، في مدينة « قورصتورمه » شمال شرقي روسيا في معتقلات الأسرى في سيبيريا ، لمقاومته الروس في القفقاس مع مجموعة من الفدائيين في الحرب العالمية الأولى ، ثم النفي لبلدان متعددة في تركيا ، منها مدينة الذكريات « بارلا » وكثير من العلماء العظماء حفظوا القرآن في السجن أو صنفوا المصنفات الرائعة فيه ، وهكذا في « بارلا » كتب بديع الزمان « رسائل النور » في غضون ثماني سنوات ونصف السنة ، وعددها (١٥٠) رسالة حتى سنة ١٩٥٠م جمعت تحت عنوان « كليات رسائل النور » وطبعت بعد سنة ١٩٥٤م .

فسَّر فيها القرآن الكريم ، بأسلوب يختلف عن الطريقة التقليدية التي هي شرح النص والتعليق عليه ، وذلك بالتركيز على إثبات حقائق الإيمان وإنقاذ الإيمان ، وإثباته بالبراهين الساطعة والأدلة الكثيرة ، فهي غذاء للروح والقلب ، وخطاب للعقل والروح كما هي مهمة القرآن ، وإنارة الوجدان والنفس ، وسكب الطمأنينة في أنحاء النفس ، فكانت هذه الرسائل بحق كتاب شريعة وعقيدة ، ودعاء وحكمة ، وعبودية ودعوة ، وذكر وفكر ، وحقيقة وتصوف قرآني ، ومنطق وعلم كلام (توحيد) وحث على العمل ، وإبطال الشبهات ، وإسكات المعارضين ، وإلجام المناوئين .

وصنّف (أو ألف) أيضاً قبل ذلك « إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز » أثناء الحرب العالمية الأولى ، في ساحة الجهاد ضد الروس وباللغة العربية ، كبقية التفاسير الاعتيادية ، وكتب أيضاً كتابه « الخطوات الست » حينما دخل الغزاة الغربيون بعد الحرب العالمية الأولى إلى إستانبول ، لإزالة عوامل اليأس لدى كثير من الناس .

فكان بحق خادماً للقرآن ورسالته ، وللإسلام وشريعته ، أبرز فيها أستاذية القرآن الكريم وعالميته وشموله ، وصفاءه الكامل وجدته ، ومخاطبته جميع فئات الناس ، ابتداء من العوام ، وانتهاء بالخواص بأسلوب سهل وشائق ، وإيجابية في الإثبات ، وخطاب جميع مشاعر الإنسان : عقله وروحه ووجدانه وحواسه ، وتقويم السلوك الإنساني ، واتباع السنة الشريفة ، والاستعلاء على الضغوط والصعاب ، وكانت رسائل النور معجزة معنوية للقرآن الكريم في عصره ، وعلاجاً لأمراض الجيل ، وتبيان الحقائق الأساسية في حياة الفرد والجماعة ، وإيضاح أسرار القرآن والدين والشريعة ، كالشمس الساطعة في رائعة النهار[1] .

وكان من أقواله في عالمية القرآن لمن حوله : « لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية ، لا يخبو سناها ، ولا يمكن إطفاء نورها » وذلك حينما نشرت الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطانية « غلادستون » قد صرح في مجلس العموم البريطاني مخاطباً النواب قائلاً : « مادام القرآن بيد المسلمين ، فلن نستطيع أن نحكمهم ، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود ، أو نقطع صلة المسلمين به » .

---

(١) بديع الزمان سعيد النورسي : حياته وآثاره ، للأستاذ إحسان قاسم الصالحي : ص١٤٨ـ١٥٦ .

وأثبت التاريخ أن الاستعمار قد زال ، وبقي القرآن يتلى في جميع محطات الإذاعة في العالم ، وأنه مصدر للخير على الدوام ، والخير يجر إلى الخير ويرشد إليه ، كما أن الشر يجر إلى الشر ويدل عليه ، لذا بقي القرآن وذاع ، لأنه مصدر الخير والسعادة ، وأفل نجم الاستعمار ، لأنه منبع الشر والفساد والشقاوة .

ومن المعلوم بداهة من نصوص القرآن الكريم : أن القرآن دعوة عالمية لجميع شعوب الأرض ، كما سأبين في المطلب التالي ، ولكن الجديد في الموضوع أن النورسي رحمه الله أبان فاعلية هذا المبدأ ، للحفاظ على وجود الأمة الإسلامية ، وخلود هذا الشعار ، ونمو انتشاره حتى يعم الدنيا بأسرها ، ويخسر هنالك المبطلون المعادون له .

وظل النورسي في خدمة القرآن ينافح عن أحكامه وشرائعه وعالميته وتبليغ الحقائق الإيمانية لجميع الناس ، فقال وهو يرد تهمة تأليف جمعية سرية :

نحن أعضاء جمعية ملايين المسلمين المقدسة العظمى في كل عصر (وكان عددهم في الماضي ثلاثمئة وخمسين مليون) ، دستورنا : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] . ووظيفتنا ضمن نطاق هذه الجمعية هي :

أولاً : تبليغ الحقائق الإيمانية التي يتضمنها القرآن الكريم إلى طلاب الحق والإيمان على أصح وأنزه وجه .

ثانياً : إنقاذ أنفسنا من الإعدام الأبدي ، وبرزخ السجن الانفرادي السرمدي[١] .

---

(١) سعيد النورسي رجل القدر للأستاذ أورخان : ص٢٠٨ .

أسباب العالمية وتطلعاتها البعيدة وأدلتها من القرآن والسنة

لم تتوافر مقومات العالمية في الديانتين الموسوية والمسيحية ، فهما محصورتان في الأصل في شعب بني إسرائيل ، وازدادت الموسوية انغلاقاً فيما بعد موسى عليه السلام ، لظهور النزعة العنصرية البغيضة في أفكار اليهود ، متصورين أن الإله إلههم ، وأنهم شعب الله المختار ، وأن ما جاء في التوراة المتداولة والتلمود مقصور عليهم .

وأما دعوة القرآن المجيد فكانت عالمية ، لا تقتصر على العرب وإنما هي دعوة مفتوحة لجميع شعوب العالم ، فلا أفضلية لشعب على آخر ، ولا تمييز للعرب الذي نزل القرآن بلغتهم على من سواهم ، وإنما التفاضل بالتقوى والعمل الصالح .

وأسباب نزعتها العالمية واضحة ، فهي تقوم على المحبة والأخوة والألفة والمودة ، والتعاون بين جميع الشعوب ، وتلتزم مبادئ العدل والحرية والمساواة في التعامل بين الناس قاطبة ، وتدعو إلى المدنية والحضارة السامية الجامعة بين المادة والروح ، والدين والدولة ، والعبادة والحياة ، وتوحيد الله الذي تقره العقول السليمة . والشرائع التي تتضمنها تنسجم مع الفطرة الإنسانية ، وتتفق مع السماحة واليسر ، دون تعقيد ولا إعنات ولا حرج . وأسلوبها الدعوي : الحكمة والموعظة الحسنة ، وتحترم معطيات العلم ونتاج العقل الرشيد ، وتقرر مبدأ الوسطية والاعتدال الذي يجمع بين عنصر الثبات ومرونة الأحكام القائمة

على المصلحة والعرف الصحيح الذي لا يحل الحرام ولا يحرم الحلال ، وتفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لمن كان أهلاً متمكناً من الاستنباط والنظر السليم في النصوص الشرعية ، وهذا يحقق صلاحية الإسلام وشريعته لكل زمان ومكان .

وتطلعات دعوة القرآن العالمية : سامية غير نفعية ولا مادية ، إنسانية غير عنصرية ، ولخير كل إنسان وسعادته ، وتكريمه وإعلاء شأنه ، ومن أجل الجماعة لا الفرد ، وبالنظرة الموضوعية الخالية من التأثر بالأهواء والنزوات ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، وإعمار الكون وتحضره ، والحرص على تقدمه ، والبعد عن كل معاني التخلف أو الإرهاب والتدمير ، والتزام مقومات السلم العادل ، القائم على الحق والإنصاف ، ورد الخلافات أو المنازعات إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وتسوية الأمور بالصلح وحسن النية ، والتسامح والفضيلة ، والتوصل في نهاية المطاف إلى إقامة المجتمع الإنساني الفاضل الوادع الهانئ ، المتمتع بالرخاء والرفاه والاستقرار .

وأدلة عالمية القرآن الكريم كثيرة واضحة ، منها قول الله تعالىٰ :

- ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .
- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .
- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .
- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] .

وأيدت السنة النبوية الصحيحة عالمية القرآن نظرياً وعملياً ، قولياً وفعلياً ، فمن أقوال النبي ﷺ ما يأتي :

- الحديث المتفق عليه بين البخاري ومسلم ، والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء

قبلي ، ومنها : وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة » .

ـ وحديث الشيخين أيضاً : « إني رسول الله إليكم خاصة ، وإلى الناس كافة » .

ـ وحديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » .

وأما الحديث العملي : فهو ما أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله زوى[1] لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها . . » فالجملة الأخيرة من معجزاته ﷺ ، لأن ملك أمته بلغ من المشارق والمغارب كثيراً واسعاً . أما من الغرب : فإلى منتهى الأرض ، وأما من المشرق : فإلى أقاصي العمارة ، والباقي من المشرق يسير بالنسبة إلى المملوك منه[2] .

* * *

(١) أي جمع وضم إلي .

(٢) جامع الأصول لابن الأثير الجزري ١٢/٦١ ، ٢١٧ .

بين العالمية والقومية

القومية : الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها ، بناء على روابط مشتركة من الأصل أو اللغة أو العقيدة ، تدفعهم إلى تكوين وحدة سياسية مستقلة . وهذا المعنى يؤدي عادة إلى الصراع بين القوميات ، ويولّد الفرقة والاختلاف بين الشعوب .

ومنها ما يؤدي إلى الضرر المستمر والعداوة الدائمة ، كالعصبية الجاهلية التي رفضها الإسلام ، فقال الله تعالىٰ :

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٦] .

وأكد النبي ﷺ هدم برج العصبية الجاهلية ، فقال : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية »(١) .

وأما العالمية القرآنية : فتقوم على تجميع قوى البشر جميعاً في تحقيق الخير المشترك وإسعاد الإنسانية كلها ، على أساس من التراحم والتعاون والتسامح والتآخي والتعايش الودي ، لقول الله تعالىٰ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

---

(١) أخرجه أبو داود عن جبير بن مطعم ، وهو حديث حسن .

أقر النورسي العالمية الإسلامية ، وأنكر العصبية الجاهلية ، حيث ذكر القومية الإيجابية والسلبية ، واشترط لأجل تحقق الوحدة الإسلامية اتخاذ القومية الإسلامية ، ونبذ العنصرية المولِّدة للفرقة والاختلاف ، فسمى الأولى قومية إيجابية ، والثانية سلبية ، والأولى يقرها القرآن في الآية السابقة : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات : ١٣] أي خلقناكم طوائف وقبائل وأمماً وشعوباً كي يعرف بعضكم بعضاً ، وتتعرفوا على علاقاتكم الاجتماعية ، لتتعارفوا فيما بينكم ، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا فتتخاصموا .

والثانية مرفوضة بالآية المذكورة ﴿ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ ﴾ وبالحديث النبوي : « الإسلام يجب ما قبله »[١] . فهما يرفضان رفضاً قاطعاً القومية السلبية وفكرة العنصرية ، لأن الغيرة الإسلامية الإيجابية المقدسة لا تدع حاجة إليها[٢] .

وأضاف النورسي في بيان معالم نظريته الإصلاحية التغييرية وسماتها أنها تلتزم التدرج في الإصلاح والدعوة إلى التغيير ، ومنهجه في الإصلاح والتغيير يقوم على الوسطية ، وعدم التعصب أو المغالاة في التحيز ، وهي دعوة شمولية تحاول أن تكون مكافئة للقوى الثقافية المعادية ، ودعوة عالمية ، وليست إقليمية ، لذا فإنه كان يحث على ترجمة رسائله إلى اللغة العربية ، وإلى اللغات الأخرى التي تنطق بها سائر الشعوب الإسلامية ، بل وغير الإسلامية ، من أجل التبشير بأفكاره وتعاليمه

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات عن الزبير وعن جبير بن مطعم ، وهو ضعيف ، لكن تؤيده أحاديث في صحيح البخاري ومسند أحمد ومسند الطيالسي في النهي عن دعوى الجاهلية .

(٢) الوحدة الإسلامية ، مقتطفات من كليات رسائل النور للنورسي : ص١٧-١٩ .

المنبثقة من القرآن والسنة . ويعرِّض بالقوميين العرب العلمانيين المنادين بالقومية العنصرية البعيدة عن الإسلام ، كدعاة القومية التركية الطورانية ، ويبين لدعاة القومية الطورانية فائدتين من مئات الفوائد التي تكسبها الحمية الإسلامية :

الأولىٰ ـ أنها تحافظ على حياة الدول الإسلامية وكيانها تجاه جميع دول أوربة العظيمة .

الثانية ـ الأمة الإسلامية كالجسد الواحد .

وينظر النورسي إلى الأتراك كنظرته إلى العرب في تمسكهم بالإسلام ، وأنهم جزء لا يتجزأ منه .

ويرى أن القومية بأنواعها ، الطورانية ، والعربية ، والسورية ، والكردية ، والفرعونية ، وسواها من القوميات الضيقة من نتاج الفكر الغربي التي استوردها دعاة التغريب والعلمانيون إلى بلاد المسلمين ، مع بضاعة كاسدة فات أوانها ، وتخلّت عنها أوربة منذ حين ، ثم صدّرتها إلينا ، فهي من مخلَّفات القرن التاسع عشر[1] . لكن يلاحظ أن القومية العربية ليست في تطبيقها الآن عنصرية ، وإنما هي وسيلة لتجميع وتوحيد القوى العربية للدفاع عن وجودهم أمام الصهيونية ودولة إسرائيل العنصرية .

وذكر النورسي أن العلمانيين وضعوا الفكرة القومية التركية (أي العنصرية الطورانية) مكان فكرة « الأمة » في الإسلام ، وفكرة الأمة تجمع وتؤلف ، ترص وتوحد ، وفكرة القومية الطورانية تتعالىٰ وتفرق وتشتت . وكانت النتيجة الوحيدة للدعوة للقومية الطورانية هي التفتيت .

---

(١) بديع الزمان النورسي ـ فكره ودعوته للأستاذ العوضي ، طبع المعهد العالي للفكر الإسلامي في الأردن : ص٤٠ ، ١٣٩ ، ١٦٨ـ١٧٣ .

وأحلّوا محل كلمات « الله ، الرب ، الخالق ، الإسلام » كلمات « الطبيعة ، التطور ، القومية التركية . . . إلخ »[١] .

* * *

(١) سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة : ص١٣٣ ، ١٤٨ـ١٤٩ .

obeikandl.com

بين العالمية والأممية

الأممية : نسبة إلى مجموعة الأمم في العالم ، ولذا سميت المنظمة الدولية السياسية بعد الحرب العالمية الأولى عصبة الأمم ، ثم بعد الحرب العالمية الثانية في ٢٦ يونيه (حزيران) ١٩٤٥ حلّت محلها منظمة الأمم المتحدة .

واتخذت الشيوعية مبدأ شمولياً لانتشارها وهو نظام الأممية أو الشيوعية الدولية ، أي : تكوين وتأييد الأحزاب الشيوعية في جميع الأمم والشعوب والدول .

أما الأمم المتحدة وعصبة الأمم اللتان وجدتا من أجل حماية حقوق الإنسان وصون السلم والأمن الدوليين ، فلم يتحقق بطريقهما شيء يذكر إلا في بعض الأحوال حيث تكون للدول العظمى مصلحة أو منفعة أو صيانة بعض الاعتبارات ودفع شر بعض الاحتمالات الحيوية أو الخطيرة[1] .

وأما الشيوعية الدولية : فلم تطبق مبادئها إلى الآن ، وإنما طبقت الاشتراكية ، ثم بعد محاولة تطبيق مبادئها ، وانتماء بعض الأفراد في العالم إلى الحزب الشيوعي ، فشلت فشلاً ذريعاً ، وأخفقت في مجال السياسة الاقتصادية ، وبرامج الحقل الاقتصادي بعد مرور حوالي سبعين

---

(١) صدر مثلاً عن مجلس الأمن والجمعية العمومية أكثر من ٢٢٥ قراراً متعلقة بفلسطين المحتلة ، والكيان الصهيوني لم يُنَفِّذ شيءٌ منها .

عاماً ، من سنة ١٩١٧ في بدء الثورة البلشفية وتطبيق الاشتراكية سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٨٩ ، وأدت إلى انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١ ، بل إن عوامل انهيار النظام الاقتصادي في روسيا وبروز مشكلات كثيرة فيه ، ظهرت قبل هذا التاريخ بعشرين سنة .

ولقد حارب النورسي الروس مع ميليشيا مسلحة من طلابه في الحرب العالمية الأولى ، ودافع عن وطنه وجرح في الحرب ، ووقع في الأسر ، وبعد أن قضى سنتين في الأسر ، استطاع الهرب بعد نشوب ثورة أكتوبر (تشرين الأول) الشيوعية عام ١٩١٧ في روسيا ، مستفيداً من حالة الاضطراب والفوضى التي سادت هناك . وبعد رجوعه إلى إستانبول ، استمر في جهاده ضد قوات الاحتلال الغربي في ظل عصبة الأمم[١] .

وواجه النورسي كغيره من مفكري الإسلام النظام الشيوعي ، ونقدوا مبادئه ، وأثبتوا عدم صلاحيته لبناء المجتمعات الإنسانية ، على الرغم من التطور الذي آل إليه المجتمع السوفياتي ، إلا أن الأمم لا تقاس عظمتها ببناء مادي أو صناعي فحسب ، بل هناك مقومات أخرى لبقاء الأمم ، فالشيوعية تصادم الفطرة الإنسانية ، ولا تتقبل النفوس إلغاء نظام الملكية الفردية ، والقيادة الجماعية في النظام الشيوعي ضيعت حرية الفرد ضمن حرية الجماعة ، فضاعت المسؤولية وغرق النظام في أخطاء متتالية ، وأنكر النظام الشيوعي الدين ، ووصفه بأنه أفيون الشعوب ، وكانت الصهيونية على يد ماركس هي التي رعت هذا النظام وفقدت قاعدة بناء المجتمع السليم ، من الحرية والديمقراطية ، وسقط الفكر الشيوعي سقوطاً ذريعاً ، وانتهت أسطورة عبادة الزعيم ، والدولة المتسلطة .

وبقيت عالمية القرآن ، وأثبتت التجارب أنه لن تصلح أمور أمة إلا

---

(١) بديع الزمان النورسي ، فكره ودعوته ، للأستاذ العوضي : ص٣٤ .

باتباع منهج الله في كل ميادين الحياة ، وهو المنهج المتكامل للبشر في السياسة والأخلاق والاقتصاد والحياة ، وتنظيم الحقوق والواجبات .

إن العالمية أو الأممية شيء حسن إن التزمت مبادئ العدل والمساواة والحريات ، لكن الأممية الشيوعية لم تقم على مقومات مقبولة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ، فانهارت ، أما العالمية القرآنية فمقوماتها خالدة ، تعتمد ثوابت لا تتغير ، وقواعد مرنة في توجيه النظام والتطبيق ، لرعاية تبدلات المصالح ، وأوضاع التطور .

* * *

obeikandl.com

بين العالمية والعنصرية

العنصرية : الانتماء لعنصر معين ، وهو تقسيم باطل للإنسانية على أساس بعض المعايير الفيزيقية ، كلون البشرة ، ونسيج الشعر ، وذاعت هذه الفكرة في القرن التاسع عشر لتقسيم الإنسان إلى العنصر الألبي ، والآري ، والقوقازي ، والنوردي ، وغيرها ، وظلت الفكرة سائدة في القرن العشرين ، على الرغم من افتقارها إلى الدليل العلمي ، ومما ينقض فكرة العنصر عدم إثبات تعدد أصول الإنسان[١] .

وهدمت عالمية القرآن وأصوله منذ تنزل الوحي الإلهي بالقرآن هذه الفكرة ، قبل أربعة عشر قرناً ، كما يبدو في آيات كثيرة ، منها قول الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء : ١] .

وأوضح النبي ﷺ هذا المعنى ، وأبان وحدة الأصل أو المنشأ الإنساني في خطاب حجة الوداع ، بقوله : « يا أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى »[٢] .

ودأب المفكرون ومنهم العلامة النورسي على نقد فكرة العنصرية ،

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة : ٢/ ١٢٤١ .

(٢) أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي بكرة رضي الله عنه .

وكان النورسي يرى أن العنصرية مرض من أمراض الفرنج دخل إلينا من أوربة ، وأن هذا المرض سرى إلى العالم الإسلامي بفضل دعايات وجهود غير المسلمين ، وكان هدفهم هو تمزيق المسلمين ، والحيلولة دون تشكيلهم قوة دولية[١] .

واستعرض النورسي أضرار العنصرية ، ومنها :

أن الأمويين خلطوا شيئاً من القومية في سياساتهم ، فأسخطوا العالم الإسلامي ، فضلاً عما ابتلوا ببلايا كثيرة من جراء الفتن الداخلية .

وكذلك شعوب أوربة ، لما دعوا إلى العنصرية ، وأوغلوا فيها في هذا العصر ، نجم العداء التاريخي المليء بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان ، كما أظهر الدمار الرهيب الذي أحدثته الحرب العالمية ، مبلغ الضرر الذي يلحقه هذا الفكر السلبي للبشرية .

وكذلك الحال فينا ، ففي بداية عهد الحرية (أي إعلان الدستور) تشكلت جمعيات مختلفة للاجئين ، وفي المقدمة الروم والأرمن ، تحت سماء أندية كثيرة ، وسبَّبت تفرقة القلوب ـ كما تشتت الأقوام بانهدام برج بابل ، وتفرقوا أيدي سبأ في التاريخ ـ حتى كان منهم من أصبح لقمة سائغة للأجانب ، ومنهم من تردى وضل ضلالاً بعيداً ، كل ذلك يبين نتائج القومية السلبية وأضرارها .

أما الآن ، فإن التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله ـ بسبب من الفكر القومي ـ هلاك عظيم ، وخطب جسيم ، إذ إن تلك العناصر أحوج ما يكون بعضهم لبعض ، لكثرة ما وقع عليهم من ظلم وإجحاف ، ولشدة الفقر الذي نزل بهم ، ولسيطرة الأجانب عليهم ، كل ذلك

---

(١) بديع الزمان النورسي ، فكره ودعوته للأستاذ العوضي : ص٤٠ .

يسحقهم سحقاً ، لذا فإن نظر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداء مصيبة كبرى لا توصف ، بل إنه جنون أشبه ما يكون بجنون من يهتم بلسع البعوض ، ولا يعبأ بالثعابين الماردة التي تحوم حوله[١] .

* * *

(١) الوحدة الإسلامية ، مقتطفات من كليات رسائل النور : ص٢٠ .

obeikandl.com

بين العالمية والمدنية والحضارة الغربية

(صراع الحضارات)

الحضارة : مجموعة المفاهيم عن الحياة الدنيا وعما قبلها وعما بعدها ، وهي خاصة في كل أمة من الأمم .

والمدنية : هي الوسائل والأدوات التي تساعد على حل مشكلات الحياة ، وجعلها أسهل وأفضل ، وهي عامة ، ولا تختص بها أمة من الأمم ، وليس لها علاقة بالعقائد .

أي إن للحضارة بُعْدين : بعد روحي وأخلاقي ، وبعد مادي ، والبعد المادي هو المدنية . والحضارة كما يقول مالك بن نبي رحمه الله : « هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده ، في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة ، المساعدة الضرورية له في هذا الطور وذاك من أطوار نموه » .

أي إن الحضارة لا تبقى بمقومات الفن والعلم والعقل فحسب ، بل لابد من الروح ، لتنهض الإنسانية وتتقدم .

والفارق بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية : هو أن الأولى حضارة خالدة تعتمد على بناء الروح والمادة ، والدنيا والآخرة ، واستقامة الحياة بالأخلاق الإلهية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والبعد عن كل ما يدنس الذوق السليم والعرض والخلق

الرصين ، ويحقق طمأنينة المجتمع ، وعناصرها أربعة في قول الله تعالىٰ : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص : ٧٧] . وفي سورة العصر : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر : ١ـ٣] . أي إن عناصر حضارتنا الأربعة هي : الإيمان والعمل للآخرة ، والإحسان والعمل الصالح المفيد على الدوام ، وتعمير الدنيا والتواصي بالحق والصبر ، وتجنب الفساد .

أما الحضارة الغربية : فهي مقصورة على إشباع النواحي المادية والأهواء والشهوات الذاتية ، وتنتهج منهج العلمانية أو العالمائية (أي اللادينية) في الغالب ، والأخلاق فيها نفعية محضة بسبب بُعْدها عن حقيقة العقيدة الدينية أو الإيمانية . وتحرص على مبدأ التسلط على مقدرات وثروات الشعوب الأخرى ، فكان الاستعمار البغيض بشكليه القديم والحديث ملازماً لها .

وأدى هذا الخلاف في البعد النظري والعملي بين الحضارتين القرآنية والغربية إلى ما يعرف بالصراع الحضاري ، وكوَّن هذا تباعداً وتجافياً بين الغربيين والمسلمين ، أثّر على اتخاذ القرارات السياسية والعلاقات الدولية بين الجانبين .

قارن النورسي رحمه الله بين الحضارتين ، ودخل في الصراع الحضاري والثقافي مع المدنية الغربية بحصيلة قرآنية واعية ، فجعل القرآن يدافع عن نفسه ، ووظَّف حقائق القرآن ومعارفه الناصعة في سحق أسس الحياة التي تقوم عليها المدنية الغربية ، فأثبت فشلها ، وبيّن عدم قدرتها على قيادة مركب البشرية ، بل أثبت أنها قد ضللت البشرية وموهتها عن

رؤية الحق والحقيقة . وكان يرى بشجاعة وثقة أن القرآن الكريم هو البديل الوحيد للمدنية الغربية ، وأن الحياة البشرية لن تستطيع الاستغناء عنه[١] .

وأوضح النورسي موقف المسلم تجاه المدنية الغربية ، وكل شيء في الغرب ليس خيراً محضاً ، ولا شراً محضاً ، فالمدنية الغربية تحتوي على بعض القيم المشتركة مع المسلمين ، فكما استفاد الغرب من المدنية اليونانية والمدنية الرومانية ، فإنه استفاد أيضاً من المدنية الإسلامية ، إذاً يجب أخذ الحسن ، لأن « الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها » أي فهو أحق الناس بها ، كما يجب ترك كل ما لا يتلاءم مع القرآن .

قال النورسي بصدد المقارنة بين الفلسفة الغربية العلمانية ، وبين الحكمة القرآنية ، في النظر للحياة الاجتماعية للإنسان :

« إن نقطة استناد الفلسفة في الحياة الاجتماعية : هي القوة ، وهدفها المنفعة ، ودستورها في الحياة هو الصراع ، وهي تقدم العنصرية ، أي القومية من ناحيتها السلبية ، كرابطة بين الجماعات . وثمرات هذه النظرية هي إشباع النزوات النفسية ، وزيادة حاجات البشر ، بينما شأن القوة هو الاعتداء ، وشأن المنفعة هو الصراع ، وشأن دستور الصراع هو الصدام ، وشأن العنصرية هو الاعتداء ، لأن غذاءها هو ابتلاع الآخرين ، لكل هذه الأسباب سلبت سعادة البشرية .

ولكن الحكمة القرآنية تستند إلى الحق بدل القوة ، وغايتها هي الفضيلة والرضا الإلهي بدلاً من المنفعة ، ودستورها في الحياة هو التعاون بدلاً من الصراع ، وترى أن الرابطة التي تربط بين الجماعات هي

---

(١) بديع الزمان ، فكره ودعوته للأستاذ العوضي : ص٣٩ .

الرابطة الدينية والمهنية والوطن ، وغايتها وضع سد أمام اعتداءات الأهواء والنزوات ، وتشجيع الروح للارتفاع إلى الأعالي ، وإشباع حاجات الإنسان الروحية السامية ، وإرشاده إلى الكمالات الإنسانية ، وشأن الحق هو الاتفاق ، وشأن الفضيلة هو التساند ، ودستور التعاون هو الإسراع لنجدة الآخرين ، وأساس الدين هو الأخوة والتقارب ، وشأن السيطرة على الأهواء والنزوات ، وتشويق الروح للكمالات : هو سعادة الدارين »[1] . ويضيف قائلاً :

إن سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية ، بل تضحي قلة قليلة ظالمة ، بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها أو مصالحها .

والخلاصة : إنه إذا وصفت اليهودية بالعنصرية ، وهي واليهود كذلك ، والمسيحية بالتسامح ، والمسيحيون خلاف ذلك ، فإن الإسلام هو دين الحق ، والحق يلازم العدالة ، ويحقق السماحة ، وينشر الأمن والسلام والاستقرار ، والمسلمون في عصرنا الحاضر ضعاف عن حماية حقهم ، والدفاع عن عقيدتهم وقرآنهم ، بسبب تخلفهم الحضاري أو الواقعي ، مما أدى إلى تفوق الغرب ، وانحدار الشرق الإسلامي وتخلفه ، ولابد من صحوة إسلامية تعيد للمسلمين قوتهم ليحفظوا حقهم ، ويفرضوا هيبتهم ، فالحق والقيم العليا لابد لهما من قوة عادلة معتدلة تحميهما وتحافظ عليهما ، وتنهي ما يسمى بصراع الحضارات .

وموقف النورسي من الحضارة الغربية : هو موقف المسلم الذي فرض عليه الإسلام أن يتحرك لاكتشاف قوانين الحياة والاستفادة منها ، لإقامة الحضارة ، وبناء مقومات التقدم ، لذلك دعا المسلمين إلى الأخذ

---

(١) بديع الزمان النورسي ، فكره ودعوته للأستاذ العوضي : ص٣٧ـ٣٨ .

بأسباب الحضارة الصناعية ، وإلى تبني التقنية أو التكنولوجيا الحديثة ، وتبني العلوم الكونية الحديثة ، قال رحمه الله : « ضياء القلب : هو العلوم الدينية ، ونور العقل هو الفنون المدنية ، أي العلوم الكونية الحديثة ، وبامتزاجهما تتجلى الحقيقة ، وبافتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا ، والتعصب الذميم في ذاك »[١] .

* * *

(١) المرجع السابق : ص١٣٨ .

obeikandl.com

بين العالمية والنزعة الفردية

(الانطواء على الذات)

إن العالمية القرآنية تشمل الأمة والجماعة والأفراد ، فإذا صلح الفرد صلحت الجماعة ، وإذا حسنت أفعال الجماعة ، كانت الأمة بخير ، وإذا توجهت الأمة نحو مرضاة الله واحترام الثوابت والمبادئ والأخلاق الإلهية ، انتفع منها كل شيء في الوجود .

ويحرص الإسلام على إصلاح الفرد والجماعة ، ويدعو إلى محبة الآخرين ، ويمقت حب الذات (أو الأنانية) سواء في الأكل والشرب وغيرهما من المنافع الخاصة ، أو المشروعات العامة ، وإذا كانت الروح الجماعية هي المسيطرة على شؤون الناس ، استفاد منها كل الأفراد .

لذا كانت التوجيهات القرآنية والنبوية نحو الخير العام ، وصلاح الجماعة ، ونقاوة المجتمع ، والبعد عن تدنيس القيم الاجتماعية ، وإشاعة الفاحشة في الأمة ، وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو قاعدة العيش الاجتماعي ، وكان التكافل الاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والسياسي والإنساني : هو مبدأ الإسلام وسياسته العامة في الإصلاح وبناء المجتمعات .

والمثال على ذلك آية تعميم البر في القرآن الكريم :

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ

﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [البقرة : ١٧٧] . وقال النبي ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »(١) .

و« الدين النصيحة » قلنا : لمن يا رسول الله؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »(٢) .

ومن أطرف ما يذكر هنا موقف ذلك الأعرابي ، روى أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « قام رسول الله ﷺ في الصلاة ، وقمنا معه ، فقال أعرابي : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً ، فلما سلّم رسول الله ﷺ قال : لقد تحجّرت واسعاً ـ يريد : رحمة الله » .

ونفّر النبي ﷺ من اتباع الأهواء الخاصة والآراء الفردية ، ودعا إلى تأييد الجماعة ، وتنمية الروح الجماعية ، عن أبي أمية الشعباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له : كيف تصنع في هذه الآية؟ قال : أية آية؟ قلت : قوله تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ [المائدة : ١٠٥] . قال : أما والله ، لقد سألت عنها خبيراً ، سألتُ عنها رسول الله ﷺ قال : بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوام ، فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم »(٣) .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالىٰ

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي حمزة أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٢) أخرجه مسلم عن أبي رُقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه .
(٣) أخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجه .

لا يجمع أمتي على ضلالة ، ويد الله على الجماعة ، من شذّ شذّ في النار »[١] .

يبدو مما سبق أن النزعة الفردية ضارة بالفرد والمجتمع ، والنزعة الجماعية أو العالمية خير للفرد والمجتمع ، وإذا سارت النزعة الأولى كما هو الغالب في الأنظمة الرأسمالية ، ظهرت الكراهية والأحقاد والطبقية والتناحر والنزاع أو الصراع الطبقي ، وإذا تنامت وتقوت النزعة الجماعية أو العالمية المنضبطة بهداية القرآن ، برزت عناصر الرحمة والتعاون والتكافل ، وسادت المحبة والأخوة والسكينة والطمأنينة ، وحينئذ تتقوى الأمة ، وتنمو فيها كل معاني الخير والأخلاق الكريمة .

ولقد عزا بديع الزمان النورسي أسباب الحرية العالمية التي أنزلت بالبشرية الكوارث ، وحصدت ملايين الرؤوس . . إلى الضلال الناشئ من الفكر المادي ، والحرية الحيوانية ، وتحكم الهوى[٢] .

وذكر النورسي أن القرآن الكريم قد حوّل ـ كما نعلم ـ مجتمعاً كاملاً إلى مجتمع جديد ، وأنقذ كل إنسان من الأنانية (حب الذات) ، والعُجْب بالنفس وغيرهما من الصفات التي تحول دون إدراك الحقائق ، ورسَّخ بدلاً منها صفاتٍ وخصالاً سامية حميدة ، كالتواضع والتضحية وغيرهما[٣] ، أي لابد من إعداد النفس والفرد إعداداً قويماً صالحاً ، بحيث يحب الخير لنفسه ولأمته .

* * *

(١) أخرجه الترمذي ، وهو حسن .
(٢) بديع الزمان النورسي ، المرجع السابق للأستاذ إبراهيم العوضي : ص١٥٢ .
(٣) بديع الزمان سعيد النورسي للأستاذ إحسان قاسم الصالحي : ص١٥٢ .

بين العالمية والأديان الأخرى

القرآن الكريم ذو نزعة عالمية تشمل جميع أرجاء العالم ، من أجل خير الإنسان وإسعاده في الدنيا والآخرة ، فمن آمن به وصدّق بتعاليمه ، حقق النجاة لنفسه ، ومن أعرض عنه ، تُرك أمر حسابه لربه ، وليس لأحد من المسلمين إجباره على تغيير معتقده ، لأنه في شرعة القرآن : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

وعلاقة الإسلام أو القرآن بالأديان الأخرى لها صفتان أو حالان :

الأولى : علاقة تأييد وتصديق كلي للأديان السماوية الأخرى في أصولها الأولى الثابتة الصحيحة ، المنزّلة على موسى وعيسى عليهما السلام ، لقول الله تعالىٰ : ﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ [البقرة : ٤١] . وقوله سبحانه : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران : ٣] . وقوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ [النساء : ٤٧] . وقوله عزت أسماؤه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [المائدة : ٤٨] . وهذا من الإنصاف للأديان السماوية ، فعلى المسلم احترامها ، والإيمان بما جاء به الرسل عليهم السلام ، كما في قوله تعالىٰ :

﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦] .

الثانية : علاقة إقرار الواقع ، وإظهار التعايش الودي بين المسلمين وأهل الأديان الأخرى في وضعها الحالي ، من غير مساس بهم ، لأننا

أمرنا بتركهم وما يدينون ، ولأنه يجوز إقرارهم على العيش بمعاهدة دائمة في ظل دار الإسلام أو الدولة الإسلامية ، سواء كانوا عرباً أو غير عرب ، كتابيين أو وثنيين ، في رأي الإمام مالك رحمه الله وأتباعه والأوزاعي والثوري وفقهاء الشام . هذه العلاقة تصديق لما بقي من أجزاء الأديان الأصلية ، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة عنها[١] .

والنورسي في رسائل النور التي صنّفها هو مع هذا الاتجاه القرآني المقرر ، ولكنه يعارض بشدة ويشجب ويستنكر أعمال المعتدين على الوطن الإسلامي من المستعمرين الغربيين أو الشرقيين ، ويندّد على الصعيد الداخلي لوطنه : تركيا بالسياسة الحمقاء التي ينتهجها العلمانيون القوميون الكماليون ، الذين يريدون تصفية معالم الإسلام ، وهم أصحاب الفكر الدخيل ، على أيدي الدخلاء من يهود الدونمة ، ومن الذين يتلقون الخطط والدسائس من المحافل الماسونية ، لإفساد عامة الناس وخاصتهم ، من خلال سياسة الواقع[٢] .

والخلاصة : ليس الإسلام ولا حضارته ولا أهله خطراً على الأديان الأخرى ، ولا على أتباعها ، وليس من أهدافه محقها أو سحقها أو تصفيتها ، فبقاؤها لحكمة من الله ، ومن أجل المقارنة أو الموازنة ، ولتكامل الدنيا ، بدليل وجود الحق مع الباطل ، والخير مع الشر ، ولأن الدخول في الإسلام قائم على الحرية والاختيار والطواعية ، لا على القسر والإكراه .

* * *

---

(١) الدين للأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز : ص١٨٩ .

(٢) بديع الزمان النورسي ، فكره ، ودعوته ، للأستاذ إبراهيم علي العوضي : ص١٥٢ .

بين العالمية والجهاد

الدعوة إلى الإسلام ونزعة القرآن العالمية تقوم على أساس من الحوار الهادئ ، والإقناع العقلي ، والبرهان الساطع ، والجهاد في الإسلام ، سواء الدعوي منه أو القتالي ليس لفرض الإسلام على الناس ، وإنما هو لحماية المجتمع الإسلامي ودار الإسلام ، والدفاع عن الدعاة إلى الله تعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولمنع الفتنة في الدين ، ولإقرار فاعلية الحرية على أوسع نطاق في العالم ، ولقمع الظلم ورد العدوان ، وإنقاذ المستضعفين .

فلا يعقل أن يعتدي الآخرون على المسلمين أو الدعاة إلى عالمية القرآن ، ثم لا يجد هؤلاء من يذود عنهم ويحميهم ، ويمكِّنهم من متابعة مهامهم الإنسانية السامية ، تنفيذاً لقول الله تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] . واستجابة لترغيب رسول الله ﷺ بقوله : « لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت »[1] .

ولقد كانت الفتوحات الإسلامية إما لرد الاعتداء ، أو تطويق الأخطار ، أو إضعاف العدو المشترك في بلاد تابعة له ، أو مؤيدة له ، أو

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني عن أبي رافع رضي الله عنه ، وهو حسن .

لدفع الظلم وحماية المستضعفين ، أو لمنع الفتنة في الدين ومحاولة الاعتداء على الدعاة المسلمين . ولم تكن لنشر الإسلام بالقوة ، ولم يثبت في تاريخ هذه الفتوحات أن أحداً من القادة أو الأتباع أكرهوا أحداً على الإسلام ، أو أن الجهاد أو القتال كان للمعاهدين أو المدنيين الذين لا يقاتلون ولا يحرّضون على القتال ، برأي أو تدبير أو تأليب الناس على المسلمين ، ولا يصلح الخلط بين القتال الذي هو ردّ العدوان وبين القتل بغير حق ، قال الإمام الشافعي : « ليس القتال من القتل بسبيل ، قد يحل قتال الرجل ، ولا يحل قتله » . أي فإن مشروعية الجهاد في الإسلام إنما كانت لدفع الحرابة ، أي ظهور قصد العدوان ، لا من أجل شن الحروب المتتابعة على المسالمين أو الآمنين ، وقال ابن تيمية : « إنما القتال لمن قاتلنا » .

ويكون الجهاد إما باللسان أو بالمال أو بالسلاح أو بالنفس ، أما الجهاد باللسان : فهو للرد على طعون الأعداء وتفنيد شبهات الحاقدين . وأما الجهاد بالمال : فهو الإسهام في إعداد المقاتلين لقمع العدوان ، وأما الجهاد بالنفس ، فهو لترويض النفس على الفضائل والتزام دين الحق ، والتخلص من وساوس الشيطان والأهواء . وغاية الجهاد : إعلاء صرح الحرية في جميع مظاهرها وأنواعها .

ولقد مارس بديع الزمان الجهاد بجميع أنواعه ، فجاهد النفس والهوى ، وأبطل بقلمه ولسانه أباطيل الملحدين والكافرين والمنافقين ، وخاض معارك الجهاد بالسلاح ضد الروس وغزاة الوطن . والجهاد ملازم لعالمية القرآن ، وتمكين من نشر دعوة الإسلام.

ومن أقواله : « إن الجهاد المسلح لا يحشد كلياً إلا ضد العدو الخارجي ، فالصراع المسلح داخل البلاد الإسلامية : هو ما يصبو إليه

العدو الخارجي ، إذ إن سفك دماء المسلمين فيما بينهم أمر يهمهم » .

وأضاف قائلاً : « إن الجهاد إنما هو جهاد معنوي يوصل إليه عن طريق تنوير الأفكار وإصلاح القلوب والأرواح ، ويكون جهاداً إيجابياً بنّاء ، لصد التخريبات المعنوية ، ويتصرف فيه وفق سر الإخلاص . فهناك بون شاسع بين الجهاد في الخارج ، والجهاد في الداخل .

فنحن نبذل قصارى جهودنا للحفاظ على استقرار البلاد وأمنها على وفق العمل الإيجابي البنّاء . . . في هذا الوقت الفرق عظيم جداً بين الجهاد الداخلي والخارجي »[١] .

* * *

(١) سعيد النورسي رجل القدر للأستاذ أورخان محمد علي : ص١١٧ .

الأسلوب والمنهج المعاصر لتحقيق مفهوم العالمية القرآنية

لكل عصر أسلوب ومنهج في تبليغ الدعوة الإسلامية إلى أرجاء العالم ، وأسلوب عصرنا يعتمد في الدرجة الأولى على الكلمة الطيبة الهادفة الواعية ، ومخاطبة العقول والأفكار للإقناع ، وإثارة الميول الروحانية الصحيحة القائمة على النزعة الفطرية القويمة ، واعتماد العلم والمعرفة أساساً في غرس القناعة ، ومواكبة ظروف العصر وتطلعاته وحاجياته .

وكل ذلك في الواقع هو ما قامت عليه الدعوة الإسلامية ، فالله تعالىٰ يأمرنا بحسن العرض ، ونصاعة البيان ، وطيب الكلام ، وإشعار الآخرين بالاحترام والتكريم ، في قول الله تعالىٰ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥] .

وقوله سبحانه : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

والإسلام دين العقل والفكر ، وقد عني القرآن الكريم بإثارة الأفكار والعقول والتأمل في الكون ، والاهتداء بذلك لإثبات وجود الله ووحدانيته .

والروح مركز الإشعاع الإيماني . وإيقاظ المشاعر الروحية : سبيل لإنارة العقل وتنبيه الإنسان نحو الخير وتحقيق السعادة .

والإسلام دين الفطرة الإنسانية ، فكل أحكامه وتعاليمه وشرائعه تنسجم معها وتلتقي بها ، فيتحقق اليسر والسماحة ، وتمتنع كل ألوان الحرج والمشقة .

والعلم في الإسلام : دعامة له ، وقاعدة رسالته ، والقرآن مصدر العلوم والمعارف ، وأداة لنشر العلم ، وتوجيه العلماء . وهذا ما أكده النورسي مبيناً أن القرآن هو المصدر الأساسي للعلم والمعرفة ، وأن العلوم الاجتماعية والإنسانية والطبيعية تنبثق من مشكاة القرآن الكريم .

لكن من المعلوم ضرورة الاعتماد في تبليغ العالمية القرآنية والدعوة إلى الإسلام على أساليب العلم المعاصرة ، لتتحقق الغاية من نحو قريب ومن طريق يسير . لذا حرص النورسي على إصلاح نظام التعليم ، بتعليم العلوم الدينية والعلوم الدنيوية المعاصرة معاً ، دون اقتصار على إحداها دون الأخرى .

ولقد كان النورسي رحمه الله عميق الفهم لدين الإسلام وعالمية القرآن ، في مجال العقيدة الصحيحة والعبادة القويمة ، وفي تربية النفس على معالي الأخلاق ، والتزام الآداب السلوكية ، وفي المعاملة والتحضر والسياسة ، ومراعاة ظروف الدولة ، فاتخذ منهج التدرج في التغيير والإصلاح ، واعتمد النظام وقمع الفوضى أساساً للوجود كله ، وعُني بغرس معالم الإيمان ، واتخذ أسلوب الإقناع طريقاً صحيحاً في الحوار المفيد ، وجعل منهج المناقشة والمفاضلة والموازنة سبيل الدعوة إلى القرآن ، وكان مع سلامة منهجه وصحة أسلوبه ، يعتمد على التخطيط السليم في كل شيء ، مع غَيْرة شديدة على دين الله وشعائره ومعطيات

القرآن ، واتصاف بصلابة لا تعرف اللين ، وجرأة لا تردد معها ، وشجاعة لا خَوَر ولا ضعف فيها ، لمقاومة آراء الملحدين والضالين وأعداء الإسلام .

قال لجماعة مصطفى كمال بعد أن رفعت ضده (٢٥٠٠) دعوى ، صدر فيها الحكم بالبراءة : أياً من بعتم دينكم بدنياكم ، أيها التعساء ، افعلوا ما شئتم ، ستكون الدنيا وبالاً عليكم ، لقد فُديت هذه الدعوة المقدسة بملايين الأبطال ، ونحن مستعدون لأن نفديها بأرواحنا ، إننا نفضل البقاء في السجن ألف مرة على أن نرى الحرمات تنتهك . في ظل هذا الاستبداد لا يمكن أن يقال : إن هناك حرية ، حرية العلم ، أو حرية الضمير ، أو حرية التعبير ، أو حرية الدين ، وبقي على طلاب الحرية أن يموتوا أو يبقوا في السجون محتمين بالله تعالىٰ ، قائلين « حسبنا الله ونعم الوكيل »[١] .

وقال أيضاً في الدفاع عن « رسائل النور » :

« واجبي أن أشير إلى حقيقة مهمة جداً ، وهي أنه لا يمكن لأي شعب أن يعيش بدون دين ، هذا دستور عام ، معترف به في الدنيا كلها . وإن الكفر المطلق يسبب لصاحبه عذاباً أشد إيلاماً من عذاب جهنم في الدنيا نفسها »[٢] .

واستمر النورسي في تطبيق نظريته التغييرية عن طريق نشر حقائق الإسلام بالأدلة والبرهان ، وتكوين الجيل المؤمن الصالح ، وبث الوعي الإسلامي بخطورة الحملة الشرسة على الإسلام والمسلمين ، وتهيئة

---

(١) النورسي رجل القدر في حياة أمة : ص٢١٢ .
(٢) المرجع السابق : ص٢٣٠ .

صفوف الأمة للوقوف أمام اللادينية الطاغية ، ونقل التربية الإسلامية إلى داخل البيوت[١] .

ونجح أسلوب النورسي ومنهجه ، وكانت رسائله وآثاره خيراً وبركة مادية ومعنوية على تركيا ، في حياته وبعد موته ، واستمر طلابه بعده في أداء رسالته ودعوته ، ولاسيما الشيخ الجليل « **محمد فتح الله كولن** » الذي قدم خدمات كبيرة في مجال تطبيق أفكار أستاذه النورسي ، في الواقع العملي ، وفي الحياة الاجتماعية ، وعلى نطاق شعبي واسع ، من طريق نشر العلم ، سواء في تركيا أو في خارجها ، فقد أنشأ ما يزيد على مئتي معهد في خارج تركيا مثل ألبانيا والبوسنة والهرسك ، ومنغوليا وياقوتستان ، واليونان ، وتايلند ، والجزائر وغيرها ، مما أثار الأنظار إليه في العالم[٢] .

وكان النورسي بهذه الخطة الرشيدة علَماً من أعلام العلم ، والعمل ، والجهاد ، والدعوة إلى سبيل الله والحق ، لترسيخ عالمية القرآن ، وجعل دين التوحيد وعقيدة الوحدانية عقيدة عالمية ، لأن جميع النفوس تتجاوب معها ، ولأنها عقيدة الفطرة الإلهية ، وتتقبلها العقول الرشيدة بسرعة وأدنى تأمل .

* * *

(١) النورسي رجل القدر : ص١١٧ .

(٢) بديع الزمان ، فكره ودعوته للأستاذ العوضي : ص٤٣ .

العالمية القرآنية ووحدة الأمة الإسلامية

لا تعارض ولا تنافي بين الدعوة إلى عالمية القرآن وإلى وحدة الأمة الإسلامية ، لأن هذه الوحدة ليست عنصرية ، ولا تعصبية لدين الإسلام ضد أمم الأرض وأديان البشر ، وإنما هي وحدة قائمة على ضرورة رعاية المصالح ، وتبادل المنافع وحماية الوجود الإسلامي ، مع نظرة التسامح نحو الآخرين ، ولكن الحذر من مكائدهم ، وتجنب شرورهم وأطماعهم .

وقد جمع القرآن الكريم بين الأمرين ، فدعا إلى ضرورة وحدة الأمة تجاه الأعداء والمعارضين والمناوئين ، في قول الله تعالىٰ : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] . ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥٢] . ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ[1] جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وهذا توجه طبيعي بين الأمم قاطبة ، والمسلمون أحق الناس بالاتحاد لوحدة عقيدتهم القائمة على توحيد الله تعالىٰ ، ووحدة كتابهم وسنتهم ، واشتراكهم في رابطة الأخوة الإيمانية ، وتعرضهم لمشكلات مشتركة .

وأما عالمية القرآن التي سبق الكلام عنها : فهي في مجال تبليغ عقيدة التوحيد وأحكام الله وشرائعه إلى جميع الناس ، من أجل خيرهم وإسعادهم .

---

(١) أي بالقرآن أو الإسلام .

ولقد دعا النورسي كغيره من أعلام الإسلام وأئمة العلم والنهضة والإصلاح إلى وحدة المسلمين أو اتحادهم على الدوام ، ونبذ الخلافات والمنازعات ، لأنها تضعف شأنهم ، وتهزّ كيانهم . وكانت مقالاته في جريدة « وولقان » من المقالات البناءة التي تحض على وحدة الصف ، وتجنب التفرقة ، والبعد عن الحركات المتطرفة ، وتدعو إلى التآخي والتواد والتحاب ، لقوله تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] . وكان يحذر من إثارة الاختلافات التي يحاول الأعداء نشرها بين المسلمين ، أفراداً وشعوباً ودولاً ، مستغلين بعض حالات الضعف والتخلف والجهل والغفلة .

وكان دائم الهتاف : « أيها العالم الإسلامي ، إن حياتك في الاتحاد ، وإن موتك في الفرقة والاختلاف »[1] .

* * *

(١) بديع الزمان ، فكره ودعوته للأستاذ العوضي : ص١٦٦ ، سعيد النورسي رجل القدر : ص٤٤ .

علاقة الأمة الإسلامية بالأمم والشعوب الأخرى

الأمة الإسلامية إحدى الأمم الكبرى في هذا العالم ، حيث تبلغ ثلث العالم في الأمم المتحدة : ٥٥ دولة ، وعددها مليار ونصف مليار نسمة فأكثر ، وهي ذات رسالة إلهية ، مطالبة بتبليغها للعالم ، وبيان مضمونها ، والتعريف بأحكامها ، وشرائعها بمختلف الأساليب المعروفة قديماً وحديثاً ، سواء بالقول أو بالفعل أو بالترجمة ، لقوله تعالىٰ : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] . والمبلِّغ الأول هو رسول الله ﷺ ، عملاً بأمر الله تعالىٰ في قوله :

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

والأصل في علاقة الأمة الإسلامية بالأمم والشعوب الأخرى : هو السلم لا الحرب ، والود والتفاهم ، لا الكراهية والنفور والتباغض ، فإذا لم يكن هناك عدوان من الأمم الأخرى أو الدول ، فإن المسلمين أسبق إلى التعاون والالتفات إلى كل ما يقدم البشرية ، ويحل مشكلاتها ويزيل أزماتها المستعصية ، لقول الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وقاعدة العلاقات بين المسلمين وغيرهم مصدرها القرآن في قوله سبحانه :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ

﴿وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة : ٨-٩] .

وحينئذ يمكن أن تتوطد هذه العلاقات وتنمو وتتطور في صالح الفريقين ، سواء في مجال السياسة أو الإعلام أو الاقتصاد ، ومنه التبادل التجاري ، أو الصناعي ، أو العلم والثقافة أو غير ذلك .

ومنهاج المسلمين في تبليغ دعوتهم إلى الله وتوحيده وما أنزل في قرآنه : هو قول الله تعالىٰ الذي عمل به نبيهم في دعوته أمراء العالم وملوكهم إلى الإسلام : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

إنه منهاج العقل والمنطق والحكمة ، لأن دعوة القرآن وعالميته إنما هي كما تقدم لخير الإنسان نفسه ، ولإنقاذه من بؤر الضلالة ، والأخذ بيده نحو السعادة والنجاة ، ولإشاعة السكينة والطمأنينة في قلبه ووجدانه ومشاعره وتفاعله مع الحياة .

وكان النورسي في هذا مع توجه القرآن الذي دأب على بيانه ، ونشر مقاصده ، وإيضاح آياته ، سواء في العقيدة أو العبادة ، أو المصلحة العامة العليا للأمة الإسلامية ، متخذاً الإخلاص أساساً ، والاشتغال بنشر الحق والوعي ، بدلاً من الانشغال بعيوب الآخرين ، والتمسك بالأخوة الإسلامية ، والاتفاق مع أهل الحق .

* * *

الخاتمة

هذه هي آفاق عالمية القرآن ، وهذه هي معالمها في مجال المساس مع الأمم الأخرى ، إنها معالم الإيمان ونشر عقيدة التوحيد بالله عز وجل ، وتقوية الصلة به بالعبادة الخالصة ، واتخاذ معطيات القرآن الكريم سبيلاً لإنقاذ الشعوب الأخرى ، أفراداً وجماعات ، دولاً وحكاماً ومحكومين .

إنها مطامح تسمو على الأوضاع والمصالح المادية ، أساسها محبة الخير للآخرين ، والإخلاص في تبليغ رسالة الله لجميع العالم .

ولقد تمثَّل النورسي رحمه الله هذه الأصول ، كغيره من قادة الإصلاح والتغيير لما هو الأفضل والأحكم ، فكان بحق واعياً مقاصد القرآن مستوعباً متطلبات الشريعة ، داعياً في سبيل الله لرفع راية الحق والعدل والخير والمحبة لكل العالم ، سواء في وطنه أو غيره ، وهو بكلمة موجزة : أمة في رجل ، ورجل مسلم في أمة .

ولكن الأحداث الأخيرة بعد ٢٠٠١م وموقف أمريكا الجديد من العالم الإسلامي وتحالف أوربة وغيرها معها أظهر مشكلة جديدة وهي تحالف المسيحية المتصهينة في أمريكا والصهيونية وإسرائيل ضد المسلمين ، وعداوتهم لكل القيم الخيرة المتمثلة باحتلال أفغانستان والعراق ، والإبادة المتدرجة للمسلمين في فلسطين .

* * *